التربية والتعليم الكنسي في العصور الوسطى500-1400م

Church Education and Teaching in the Middle Ages

م. د هنادي عبد العظيم صفر

Assistant Professor : Hanadi Abdul-Azim Safar

University of Basra / College of Arts Department of History

جامعة البصرة / كلية الاداب قسم التاريخ

الملخص :

يتناول هذا البحث دراسة التربية والتعليم الكنسي خلال فترة العصور الوسطى500-1400م. وتميزت هذه الفترة بأحداث تغيرا واضحا في الحياة الاجتماعية في اوربا ، وقد تبع هذا التغيير تغير في النظرة للتربية واهدافها ، اذ أصبحت التربية شريكا مهما في التعاليم المسيحية . اذ ارتبطت التربية المسيحية في اوربا العصور الوسطى بالجانب الديني ، والخلقي بشكل لافت. و اهتمت بتهذيب الروح والوجدان وكبح الشهوات ،كما تميزت التربية بنظام رهباني صارم ، وكانت متعددة الجوانب .و تتركز بشكل اساسي على الدين والكنيسة ، اما التعليم الكنسي فقد ادى دورا لاغنى عنه . ومما لاشك فيه ان التعليم بالنسبة للطبقات العليا في المجتمع هو البوابة الرئيسية للمعرفة والقوة، وتولي المناصب، وبمرور الوقت تطور نظام التعليم ليعكس القيم والاحتياجات العملية للمجتمع في ذلك الوقت وخلال هذا البحث سوف نوضح بالتفصيل تاريخ التربية والتعليم الكنسي وتطوره وتأثيره الحالي في العصور الوسطى .

الكلمات المفتاحية / تعليم – المسيحية – الكنيسة – المرأة – العصور الوسطى .

Abstract:

This research focuses on the study of education and ecclesiastical teaching during the Middle Ages. This period was marked by the emergence of Christianity, which brought about a clear change in social life in Europe. This change was followed by a shift in the outlook on education and its goals, as education is an important partner in Christian teachings. This is particularly true given that Christian education in medieval Europe was strongly linked to religious and moral aspects, focusing on refining the spirit and conscience and curbing desires. Education was also characterized by a strict monastic system and was multifaceted, focusing primarily on religion and the church. Church education, however, played an indispensable role. There is no doubt that education, for the upper classes of society, was the primary gateway to knowledge, power, and access to positions of authority. Over time, the education system evolved to reflect the values and practical needs of society at the time. This research will detail the history of education and ecclesiastical teaching, its development, and its current influence in the Middle Ages. We will also explore its place.

Key words / Education – Christianity – Church – Women – Middle Ages.

المقدمة :

حدثت تغيرات جوهرية في اوربا العصور الوسطى بعد ظهور الديانة المسيحية ، وقد انعكست على التربية والتعليم . وايضأ على الهدف منهما ، واصبحت الثقافة المسيحية تدير شؤون المجتمع ، وترويض النفس استعدادا للحياة الأخرى. كما احل مكان الفلسفة الرومانية الأخلاقية التي اهتمت بالفعل ، الى الاهتمام بالسلوك

وصارت التربية نمطا سلوكيا ترويضيا.اذ ارتبطت التربية المسيحية في اوربا العصور الوسطى بالجانب الديني الخلقي بشكل لافت. اذ اهتمت بتهذيب الروح وتصفيتها وتنمية روح الفضيلة عن طريق الدعوة الى حب الله ، والتدريب على الطقوس الدينية، وتربية الوجدان وكبح الشهوات ، واخضاع الجسم لنظام قاس من التقشف والزهد والحرمان من ملذات الحياة . مما ولد ذلك ظهور تيارات فكرية تربوية في اوربا العصور الوسطى خضعت وبشكل مباشر للسطلة الدينية . اذ عدت التعليم وسيلة رئيسية لنشر الايمان المسيحي ، وتعزيز القيم الدينية . وفي هذا السياق يمكن القول ان التعليم في العصور الوسطى كان مرتبطا بشكل وثيق باللاهوت، والكنيسة. مما اثر بشكل كبير على محتوى وأساليب التعليم.

***التربية في العصور الوسطى وتأثير الحركة الكنسية عليها :-**

ان انتشار المسيحية في انحاء الإمبراطورية الرومانية ، ومن ثم انتشارها في ارجاء العالم كان له بالغ الأثر على مجرى الحياة الفكرية والأخلاقية والتربوية التي كانت سائدة في تلك الأيام . فقد شهدت التربية المسيحية عدة تطورات على مر العصور ، ففي المرحلة الأولى من انتشارها . وتحول الإمبراطورية الرومانية العلمانية الى دولة مسيحية بدأ من المثل الأعلى التربوي المسيحي للموت والخلود .ليحل محل المثل الأعلى التربوي اليوناني والروماني الذي تمثل في التربية من اجل الفرد. بينما كان اهتمام المسيحية منصبا على معرفة الرب وخدمته لانها خير معرفة من الدنيا (مرسي، 1982، صفحة 23) . لذا نجد ان التربية المسيحية قد اصطبغت بالصبغة الدينية الأخلاقية في هذه الحقبة ، و اهتمت بتهذيب الروح وتصفيتها وتنمية روح الفضيلة عن طريق التمرس بالطقوس الكنسية ، وكبح الشهوات ، وإخضاع الجسد لنظام قاس من التقشف والزهد والحرمان من ملذات الحياة (زيادة، 2006، صفحة 95) .

وبذلك يتبين لنا انها تربية روحية لاعلاقة لها بشؤوون الحياة ، أي انها ركزت على التربية الخلقية والتربية الدينية ، ولكنها اهملت التربية الفكرية والعقلية فيما يخص الكنيسة الاوربية . الا انه في مدرسة الإسكندرية، التي تأسست في القرن الثاني الميلادي، قدمت تعليمًا شاملاً شمل الفلسفة والعلوم والآداب، بالإضافة إلى التعليم الديني. واستبعد من كنيسة روما المحتوى التعليمي في هذه الفترة كالتربية الرياضية والاداب والفنون والعلوم والبلاغة والبيان. ثم بدأ ألاهتمام بدراسة الفلسفة كوسيلة لخدمة الكتاب المقدس وأفكار الكنيسة ، كما عرفت المسيحية في هذه العصور أنواع مختلفة من المدارس يأتي في طليعتها مدارس تعليم المسيحية ، ومن ثم مدارس

الحوار الديني وتلك المدارس ارقى من الاولى . ، ومع نمو المسيحية في اوربا نمت الهيئات الكنسية ، وزادت الحاجة لرجال الدين . وبالتالي اتسعت هذه المدارس وتوطدت مكانتها بعد ان سقطت الوثنية، وأعلنت المسيحية دينا رسميا في روما عام 392م (مرسي، 1982، الصفحات 2-3) .

تطورت التربية المسيحية مع تطور الحالة الدينية العامة، وتأثر هذا التطور بعدد من العوامل الداخلية والخارجية ، ومنها علاقات الصراع، والتنافس والتحالف بين الملوك ورجال الدين.وحركات الاحتجاج والتمرد على الكنيسة ، والاطلاع على الثقافة الإسلامية . فخلال الانشقاقات الكنسية الأربعة الأولى(أنشقاق الكوليريدي حوالي عام 376، وانشقاق النسطورية عام 431 ، وانشقاق اليوطخي 451 ،وانشقاق المونوفيزية عام 451). وما حدث ايضا في الحروب الصليبية التي امتدت عبر ثماني حملات متتابعة مابين (1095-1270). من انشقاقات تنبه على اثرها بعض رجال الدين المسيحي للمشكلات التي تعانيها الكنيسة تحت سلطة البابا من فساد ، ومن قصور في تعليم المسيحية . مما أدى إلى ظهور مدارس فكرية جديدة. أنشأت لها مؤسساتها ، وانظمتها التعليمية الخاصة بها (حسن، 2020، صفحة 88).

وقد ظهرت ملامح التربية االمسيحية من خلال :

1- البعد الديني وإخضاع الجسد :

لعل الانحلال الخلقي في الإمبراطورية الرومانية ، وعجز الامبراطورية الرومانية في هذه الفترة عن تلبية الحاجات الااخلاقية للمجتمع الأوربي هو ماجعل في التربية المسيحية ملاذا لهذا المجتمع . وسبيلا للنهضة الاخلاقية ، لذلك وجهت التربية عنايتها بالسلوك اكثر من العقل ، فأهملت التربية العقلية واالجمالية الجسدية ، وكان الاهتمام بأعداد الفرد للحياة الاخرة بطرق قاسية في التربية. و عملت فيها على كبت كل ما نشأ من الرغبات الطبيعية (عماد، 2004، الصفحات 80-81).

2-الفجوة بين الدين والعلم :

ظهرت في بداية العصور الوسطى فجوة بين الدين والعلم. بسبب الاعتقاد بأن الاداب والفلسفة ومدارس الثقافة القديمة تمثل حصونا للوثنية ، وانها كانت لطبقة الأغنياء في المجتمع الروماني . لذا كانت عناية التربية المسيحية في المقام الأول بالطبقات الفقيرة . وانقطعت الصلة بين الدين وعلم الجمال ، والاداب والفلسفة وتخلت التربية عن فروع شتى من المعرفة كانت تمثل معالم بارزة للتربية اليونانية والرومانية (ابراهيم، 1961، صفحة 209) .

السمات التربوية للمسيحية في العصور الوسطى

عرفت هذه المرحلة من تاريخ اوربا بعض الديناميكيبة في العلوم فصحيح ان ميدان العلم والعلوم كان يقتصر على علوم الدين والقانون الروماني ، وقانون الكنيسة ، كما كان لاينظر بارتياح الى حرية الفكر او البحث العلمي ، اذ كان الصاق التهم بالداعين الى العلم والتحرر الفكري ، احدى سبل حماة الدين ، وهذا ما أدى الى حرمان الناس بالانتفاع من العلوم . الا ان مهمة التعليم اعتبرت من ركائز الفكر الكنسي ، وان كانت هذه العملية بالموازاة مع الفرص الحالية في هذا الميدان لاتقارن . بحيث اذا اردنا الحكم على هذه المرحلة في ضوء مفاهيمنا الحديثة . واهتمامنا بصفة خاصة بالتعليم ، لوجدنا ان فرص التعليم لأبناء الناس العاديين محدودة حقا في بداية العصور الوسطى . فبوجه عام كان النظام التربوي تعليما ارستقراطيا تماشى مع مبادىء الكنيسة. التي لم تكن مهمته بتوفير التعليم لكل طفل ، الا انها اتخذت بعض الخطوات لتقديم تعليم مجاني للأطفال الفقراء من باب البر والإحسان .وتوافقا مع الروح الدعوية التبشيرية. وهذا مما يجبرنا على عدم انكار دور الكنيسة في التأسيس للعملية التربوية من خلال انشائها العديد من دور ومؤسسات ، التي عدت القاعدة الأساسية لتدعيم النظام التربوي ، اما طبيعة هذا المجال التعليمي فكان مقيدا لايتجاوز الخطوط المرسومة من قبلها (زيان، 2009، صفحة 37).

وفي سجلات أرشيف الفاتيكان وجد كتاب لكاتب مجهول يقترح نظاما لتربية الأولاد وومراحل دراستهم بحيث يرى ان يبدا الولد دراسته للنحو في سن السابعة ، وتتم دراسته مع تعلم الحساب والموسيقى حتى يصل الى سن الرابعة عشر ، ثم يتعلم بعد ذلك لمدة سبع سنوات البلاغة والمنطق والفلك الى سن الواحد والعشرين عاما ،

ثم يتعلم بعد ذلك سبع سنوات أخرى الهندسة والميتافيزيقيا والفلسفة الطبيعية ، وببلوغه الثامنة والعشرين يمكن التحاقه بأحدى الدراسات المهنية في اللاهوت او القانون ، وهذا مايدل على ان المشوار الدراسي الطويل سيكلل في اخر المطاف بصيانة الدين، واللاهوت ،وكانت هناك في بداية العصور الوسطى وجهة نظر تعد قاعدة في الفكر المسيحي وهو ما قاله القديس اوغسطين (Saint Augustinus) والتي تقض على وضع الايمان فوق العقل الإنساني ، أي ان الايمان يجب ان يسبق الفهم ، فلا تحاول ان تفهم لكي تؤمن ، بل امن لكي تفهم ،وقوة الاسفار المنزلة اعظم من جميع الجهود للذكاء البشري (زيان، 2009، صفحة 37) .

اعتمدت التربية المسيحية على عدة مؤسسات تعليمية في العصور الوسطى ، كان لها تأثيرها البالغ في تلك الفترة ومن أهمها

أولا نظام الرهبنة /الديرية

الرهبنة هي شكل من اشكال الحياة الدينية ، تعزل فيها جماعة نفسها عن الحياة العامة سعيا الى تطبيق تعاليم دينها وتطبيقها تماما ، ومن يتبع هذا النمط من الحياة يلقب بالراهب ، وهم أناس يعيشون في أماكن تعرف بالأديرة . الهدف الأساسي من الرهبنة هو السمو بالروح والرقي الأخلاقي والاعداد للحياة الاخرة ، وقد اتخذت الرهبنة من الزهد وإخضاع الجسد وخشونة العيش واللجوء الى الفقر. وسائل لتحقيق غاياتها ،بالإضافة الى التنازل عن المتعلقات الدنيوية كالميول والعواطف وغيرها . ومن بين العوامل الأساسية والمبادئ المشجعة على الرهبنة ، هي تعاليم السيد المسيح القاضية بان لايفكر الانسان في غده ، وان يبيع ما يملك ويعطي للفقراء ويتصدق ويمنح ويعطف على الاخرين ، وحتى ان يترك المراة، والوالدين والأولاد. كل ذلك سبيل الله والدار الاخرة . أي ان الهدف الأساسي التي وضعت من اجله الاديرة هو بث النظام وإعطاء منهج تربوي صارم لتكوين الراهب واعداده للحياة الاخر (زيان، 2009، صفحة 41).

استأثرت مدارس الرهبان بالتعليم خلال العصور الوسطى. وقد اختلف المؤرخون بالفترة فبعض المؤرخين ذكروا "ان مدارس الرهبان أستاثرت بالتعليم خلال ستة قرون بدأت من القرن السابع وأنتهت في القرن الثالث " ، الا ان مؤرخون اخرون اوضحوا ان تيار الرهبنة بدأ من القرن الرابع الميلادي. واستمر حتى القرن الثامن عشر أي انه استغرق أربعة عشر قرنا (ابراهيم، 1961، صفحة 66) .

ثانيا : الحركة المدرسية

اطلق تعبير المدرسية على الحياة الفكرية وبالتالي نوع التربية الذي كان سائدا خلال تلك الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عِشر. وكان لهذه الحركة الفضل في ظهور الجامعات .وما ترتب على ذلك من نشاطات فكرية (محمود، 1933، الصفحات 120-121).

سعت الحركة المدرسية الى تعزيز العقل وجعله وسيلة لخدمة االدين ، وتقوية العقائد عن طريق تنمية القوى العقلية ، والفكرية بهدف الرد على الشكوك والاجابة عن الأسئلة . ولكن هذا لم يمنع من بقاء الايمان فوق العقل خاصة ان شعار تلك المرحلة كانت تجسده مقولة **(اؤمن لا استطيع ان افهم)** ، كما اهتمت الحركة المدرسية بالتربية الدينية والفكرية. ومن ثم التعليم الديني ، والتعليم الفكري .وهما النوعين الذين استخدمتها الفلسفة المدرسية . واقتصر محتوى الفلسفة المدرسية على اللاهوت والفلسفة الدينية. وكان مجال المعرفة الذي سمح للعقل ان يعمل في حدوده الضيقة للغاية. واهتم العلماء فقط بالدفاع عن الاشياء التي تقرر الكتب المقدسة انها صحيحة ،ومستقيمة في رأي الدين. كما ان العمارة والموسيقى والادب كانت ضمن محتوى الفلسفة المدرسية (فاخر، 1974، الصفحات 26-27) .

يمكن القول ان هدف الحركة المدرسية كان تنظيم المعرفة بغية إعطائها شكلا علميا يمكنها من صوغ العقائد في قالب خلقي يعزز مكانتها ويؤمن لها الصمود بوجه المشككين الذين حاولوا الإطاحة بها.

انعكاسات الحركة الكنسية على التربية :

عندما كان للمسيحية جاه وسلطان في جزء كبير من العالم . اصبح للدين نفوذ قوي في جميع ميادين الحياة خاصة التربوية منها ، اذا ان الكنيسة والتربية في اوربا كانتا في العصور الوسطى اسمين لمسى واحد ، بأستثناء بعض الحالات النادرة ، كما ان التربية المسيحية هيمن فيها رجال الكنيسة على حرية الشعوب .ونقلها نقله تاريخية نوعية حدت من عجرفة الرومان ، وبطشهم وخطوة متكاملة نحو استفاقة العقل البشري ، والسير به نحو التحرر النهائي . ولعبت الكنيسة دورًا مركزيًا في الحياة التعليمية والاجتماعية خلال العصور

الوسطى الأولى والمتأخرة ، اذ انها أسست فيما بعد العديد من المدارس والجامعات (صالح، 1971، صفحة 60).

في الحقيقة ان التربية المسيحية كانت خطوة نحو استفاقة العقل البشري ، والتحرر النهائي في عصر النهضة: بينما ساهمت المؤسسات التعليمية المرتبطة بالكنيسة في الحفاظ على المعرفة ونقلها خلال العصور الوسطى، فإن عصر النهضة شهد تحولات فكرية وثقافية مستمدة من مصادر متعددة، بما في ذلك إعادة اكتشاف النصوص الكلاسيكية والتفاعل مع الثقافات الأخرى.

التعليم الكنسي :

عانت المجتمعات في القرون الوسطى من الامية التعليمية والثقافية على وجه العموم ، بحيث سادت الصراعات والتناقضات السياسية والمجتمعية ، وسيطر التخلف والجهل التعليمي ،والثقافي عليها ، واقتصر التعليم لعدة قرون على الكنيسة والكتاب المقدس . كما كرس لتمجيد الاله وتعزيز سلطة الكنيسة ، أي انه خضع التعليم اخضاعا تاما وكليا للسيطرة الكنسية . نتيجة لانحلال السلطة الزمنية وازدياد نفوذ البرابرة في المجتمع الغربي .

من المعروف ان العصور الوسطى ورثت النظم التعليمية التي كانت سائدة عند الرومان . وذلك عن طريق المؤسسات الكنسية والديرية التي احتفظت بالطابع العام لتعليم القديم . هذا مع الاعتراف الثابت بأن النشاط الفكري في العصور الوسطى جاء على حساب الدراسات الكلاسيكية اليونانية والرومانية القديمة ، والتي ساهمت بصورة مباشرة في إثراء النشاط الفكري (الفتاح، 2006) .

كانت الكنيسة الكاثوليكية تحتفظ بسيطرة كبيرة على التعليم . وتوجهه نحو التعليم الديني واللاهوتي ، فبعد ان توسع سلطان الكنيسة ونفوذها على حساب الملوك والاباطرة ازداد شأن البابا في اوربا . وهذا ما جعل الكنيسة تسيطر على التعليم في المدارس. اذ احتكرت تأويل الكتاب المقدس ، وفرضت سيطرتها على الجامعات الاوربية ، كونها ادركت ان خروج الحركة التعليمية من قبضتها تعريضا واضحا لنفوذها وتعاليمها الى خطر الانتقاد من عامة الشعب والبلاد .وكانت المعرفة لسنين طويلة حصرا على فئة معينة من رجال الدين والنبلاء ، اذ كانت

القراءة تتعذر على العامة. لان الكنيسة جعلت اللغة اللاتينية القديمة لغة المعرفة والثقافة ، وهذا قبل ان تظهر اللغات القومية في انحاء اوربا ، فقد كان رجال الدين يضيقون ذرعا بأية معرفة عدا معرفتهم . ولايثقون بأي فكر لايصححوه ويراقبوه (صالح، 1971، صفحة 71) .

لذا يمكن القول ان الكنيسة عملت على ابعاد العامة من القراءة وعزلهم عنها ، سيشكل طبقة عازلة فيما بينهم وبين الفكر والعقل ، والروح والجسد ، وبالتالي فأن السيطرة عليهم امر في متناول اليد بكل يسر .

اهداف التعليم الكنسي

1-تعزيز الوعي الديني المسيحي
2-تعليم المبادئ المسيحية الكنسي
3-توفير بيئة تعليمية داعمة وتوجيهية
4-تشجيع التنمية الشخصية والروحية

أدوار التعليم الكنسي (محمد، 1978، صفحة 96) .

يمكننا ان نقسم مراحل التعليم الكنسي في العصور الوسطى على النحو التالي:-

1-الدور الابتدائي يدرس فيه الطفل بعهد اولي ملحق بالدير او الكنيسة ، ويتلى فيه مبادئ القراءة والكتابة والدين .
2-الدور الثاني ، ويدرس فيه الفتى بمهد ثانوي ملحق بالكنيسة او الكتدرائية ويتلقى فيه تعاليم الدين ومبادئ اللغة اللاتينية وادابها وبعض مباحث الفلسفة المسيحية التي تؤهله ان يكون من رجال الدين
3-الدور العالي ويدرس فيه الطالب بمدرسة الكتدرائية او الكنيسة مباحث اللاهوت وعلوم اللغة والاداب والفلسفة وعلوم الطبيعة والرياضيات والتاريخ الكنسي بحيث يصبح المتخرج قسيسا عالما بالدين ،

وقد انقسمت أساليب الدراسة في هذه المعاهد الى طرائق عديدة البندكتية والفرنسيسكانية والدومينيكية

.

مناهج التعليم الكنسي :

1- دراسات الكتاب المقدس

2- تاريخ الكنيسة والمسيحية

3- اللاهوت والفلسفة المسيحية

4- الاخلاق والقيم المسيحية

5- التامل والصلاة

الكنيسة وسير الحركة العلمية :-

بقيت الكنيسة في ذروة العصور الوسطى المركز العظيم للحياة العقلية ، فقد أشرفت على التعليم الى جانب مؤسسات أخرى فوضتها لهذه المهمة ، فبعد اختفاء غالبية المدارس التي انشئت في عهد الإمبراطورية الرومانية ، حددت الكنيسة المؤسسات التي انيط بها التعليم . طبقا للفلسفة المدرسية في خمس مؤسسات تعليمية تابعة لها منها. (المدارس الديرية ، مدارس الكاتدرائيات ، ومدارس الابرشيات ومدارس النحو ،والجامعات). والتي تقع ضمن اختصاص ، ورعاية موظفي الكنيسة من رجال الدين ، ونظرا لان رجال الدين والرهبان كانوا عادة من الأشخاص المتعلمين ، والوحيدين في أوائل العصور الوسطى في اوربا . والذي تم تكليفهم بطبيعة الحال بمهمة نقل التعليم في هذه المدارس (كرين، 2017، صفحة 188) .

الا أن هناك أنواعًا أخرى من المدارس والمؤسسات التعليمية التي نشأت خلال العصور الوسطى، مثل المدارس الحرفية والمدارس البلدية، والتي لم تكن جميعها تحت إشراف مباشر للكنيسة. فعلى الرغم من أن العديد من المدارس كانت مرتبطة بالكنيسة ، ويشرف عليها رجال الدين، إلا أنه مع مرور الوقت، بدأت بعض

المؤسسات التعليمية تستقل جزئيًا عن السيطرة الكنسية، خاصة مع ظهور الجامعات التي بدأت تتمتع بدرجة من الاستقلالية الأكاديمية والإدارية (عبدالفتاح، 1959، صفحة 4) .

بدأ التطور في نظم التعليم والتدين مبكرا استجابة للظروف التي كان رجال الدين المسيحي يواجهونها سواء في تحقيق مقاصد التدين الفردي ، او اجتذاب الوثنيين الى المسيحية . ومن ذلك النظام الديني الذي طوره القديس بندكت Nursia Benedict of (480–550) الذي بقي مؤثرا في التعليم المسيحي مدة تصل الى خمسة عشر قرنا لاحقه ، وهذا النظام هو دليل عمل للنمو الروحي الفردي لرجل دين يجمع بين العزلة الكاملة من جهة ، والعيش في جماعة مستقلة عن سائر المجتمع ، ويعد بندكت أحيانا اول مؤسس للاديرة المسيحية في العالم الغربي (حسن، 2020، صفحة 89) .

احتجزت الكنيسة لنفسها حق فهم وتفسير الكتاب المقدس ، وحظرت على أي عقل خارج جهازها الكهنوتي تفسير او مناقشة النصوص المقدسة . ولم يقتصر الامر على الكتاب المقدس ، بل فرضت على الناس قبول بعض الآراء والأفكار والنظريات التي تتعلق بالجغرافية ، والفلك وغير ذلك من العلوم العقلية ، وجعلتها بمثابة النصوص المقدسة. والتي لايجوز مخالفتها او تصحيحها وان أي شخص يقوم يخالفها يعتبر في نظرها كفرا والحاد . أي ان الكنيسة هي التي تشرف على هذه المدارس التي امر بتعميمها في الاديرة والكتدرائيات . ومثال على ذلك في عام 789م كان التعليم فيها يقتصر على الترانيم الموسيقيه الدينية اذ ذكر الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابة اوربا العصور الوسطى ((**على ان رعاية شارلمان للتعليم كانت في حقيقة امرها تخفي وراءها سياسة مرسومة ، وهي العمل على رفع مستوى رجال الدين من ناحية والاستفادة من المتعلمين في إدارة جهاز الحكم من ناحية أخرى وبعبارة أخرى نستطيع ان نقرر ان هدف شارلمان من رعاية التعليم كان دينيا وسياسيا لاكثر**)) (عبدالفتاح، 1959، صفحة 61) . لذا يمكن القول ان الكنيسة هي التي أوقفت التقدم العلمي طيلة الف سنة تقريبا ، لأنها تحتكر الثقافة كليا" اذ أن المدراس الأساسية ، والشائعة في تلك العصور الوسطى . كانت من صنع الكنيسة لتتناسب مع توجهاتها وعقيدتها .

ومن المدارس والجامعات التي كانت خاضعة لسلطة الكنيسة والتي تقتصر في تدريسها غالبا علم اللاهوت .

1- المدارس الديرية (Monastery Schools)

تعد المدارس الديرية هي نوع من المدارس التي اشتملت عليه الاديرة وكانت عاملا مهما في انطلاق الحركة العلمية الدينية . لاسيما بعد ان اختفت غالبية المدارس التي نشأت في عصر الإمبراطورية الرومانية. فقد قادت واثرت في التعليم آنذاك ، و منحت الناس فرصة للاستمتاع بحياة هادئه نسبيا يسودها التأمل الديني . ومالبثت ان أصبحت المراكز الوحيدة للتعليم (الشيخ، 1998، صفحة 185) .

كما أسهمت في تقدم الحركة العلمية ، لان رجال الدين المسيحيين اهتموا في كل دير بجانب واجباتهم الدينية بتعليم الصغار من أبناء القرى ، وخدمة البيئة الثقافية . وأدى انتشار المدارس الديرية في مدن غرب اوربا الى جعلها مراكز علمية بين سنتي (800–1100) وعرفت تلك المدة باسم (العصر البندكتي) ، لان رهبان القديس بندكت اظهروا حماسة بالغة في القيام بواجبهم في التعليم العام ، واهتموا في اديرتهم بتعليم الصغار ، وضم في كل دير مكتبة امتلأت بالكتب والمخطوطات النادرة ، واعدوا في كل دير مكانا خاصا بالكتابة . تفرغ فيه بعض الرهبان لنسخ المخطوطات والكتب الهامة ، وجمعها وحفظها في غرف خاصة (هاتو، 2023، صفحة 30) .

علما ان تلك المدارس قبل القرن الثامن للميلاد كانت مخصصة للأطفال المنتمين الى الدير أي الأطفال الذين وهبهم اباءهم للحياة الديرية ليكونوا رهبانا او كتبة في المحاكم الكنسية . وكانت العناية في تلك الاديرة موجهة الى اعداد الرهبان الذين تعدهم االدولة للانضمام في سلك الرهبنة.فقد كان يسمح للأطفال بالدخول في المدارس الديرية في سن العاشرة ، ويدرسون لمدة ثماني سنوات ثم ينخرطون في الدراسات العليا في سن الثامن عشر (هاتو، 2023، صفحة 30) .

كما ان تلك المدارس التي انتشرت في غرب اوربا – فيما عدا الجزر البريطانية كانت مدارس بدائية. كما ان نوع التعليم في هذه الاديرة كان خاليا من أي نوع من التربية لأولئك الاطفال الذين لايرغبون في الانخراط في سلك الرهبنة . ولم يشذ عن هذه القاعدة الا ايرلندا التي احتفظت بالاداب القديمة وباللغة اليونانية . الا ان الحركة التي تزعمها الامبراطور شارل العظيم (Charl the great) ووزيره الكوين (Queen) في اواخر القرن الثامن الميلادي كانت من نتائجها زيادة المدارس الديرية ووصلت الى مرتبة افضل من الاولى ،

وجاءت بنوع من التربية .و لم يكن الغرض منها مجرد الاعداد للحياة الديرية فقط (العظيم، 2014، صفحة 56) .

اما طرق التعليم في المدارس الاديرية خلال تلك الفترة التي سبقت القرن الثامن. فقد اهتم المدرسون بطرق التعليم وبخاصة طريقة طرح الأسئلة والاجابة التي اتبعت في التعليم الجامعي في العصور الوسطى . ونظرا لندرة الكتب والمخطوطات اعتمد المعلمون على طريقة الاملاء . حيث كانوا يملون على المتعلم ويحفظ المتعلم مايملى عليه. وكان النظام قاسيا جدا في المدارس الاديرة ومرد ذلك حياة الزهد التي كان يحياها الرهبان ، وكان المدرسون يلجأون الى استعمال العقوبات البدنية كثيرا (جمال ، 2006، الصفحات 29-30) .

الا ان التعليم في المدارس الديرية خلال القرنين الثامن والتاسع للميلاد اصبح غير مقتصر على تعليم الديريين فقط . بل استقبلت طلابا للعلم من غير الديريين لأول مرة في تاريخها . اذ غدا لكل دير مدرستان منفصلتان ، احداهما للديريين المتفرغين للعبادة ، والأخرى للطلاب الخارجيين . وبذلك أسهمت المدارس الديرية في نشر الحركة التعليمية العامة الى حد ما. على الرغم من نظامها ومواد دراستها ظلت دينية في اسلوبها وأهدافها الى حد كبير . وبالرغم من الانحلال الذي حدث في القرن التاسع والجزء الاكبر من القرن العاشر. الا ان المدارس الديرية سيطرة على التربية والتعليم حتى سمي القرن الحادي عشر بالعصر البندكتي (بول، 2021، صفحة 267) .

مع مرور الوقت لم تستطيع الاديرة والكنائس ان تسد الحاجة التعليمية في اوربا الغربية ، وبخاصة بعد زيادة نمو السكاني والحركة التجارية في اوربا الغربية خلال القرن الحادي عشر الميلادي من العصور الوسطى نتيجة اقتصار التعليم في الاديرة على رجال الدين الذين يمكنهم وحدهم قراءة السجلات وحفظها . فقد بدا المواطنون الاخرون بحاجة الى ان يكونوا قادرين على القراءة والكتابة . كما ايقن الناس ان تعليم فيها كلاسيكيا ولايسد الحاجة في سوق العمل ،والتطور الذي سلكته اوربا الغربية . مما اجبر الحكومات على فتح المدارس ليس لتخفيف العبء التعليمي عن الكنيسة بل لخدمة مصالحها (هاتو، 2023، صفحة 32) . ومن الواضح ان الطبقة الارستقراطية حينذاك غدت تهتم بمصالحها من خلال توظيف العلم والتحرر من سيطرة الكنيسة .مما مهد بعد ذلك لينتقل الى بقية طبقات المجتمع خدمة لمصالحها.

2 – **مدراس الكاتدرائيات** : cathedral Schools

لم تختلف هذه المدارس كثيرا عن المدارس الديرية في طابعها الديني او أهدافها الكنسية ، الا انها أسهمت مع الاديرة في نشر الحركة العلمية بأوربا في تلك الفترة. خاصة بعد ان اخذ اهتمام المدارس بالعلوم الدينية يقل تدريجيا ، واخذت الثقافة الفكرية تتحول من الأديرة الى الكاتدرائيات . فعلى الرغم من ان المدارس الكاتدرائية سارت جنبا الى جنب لفترة مع المدارس الديرية ، الا انه قدر للمدارس الأسقفية او الكاتدرائية ان تحل تدريجيا محل مدارس الاديرة .

اذ بدأت هذه المدارس بالازدهار في القرن التاسع في ظل الإصلاحات التعليمية التي اجراها شارلمان . وكانت الكاتدرائيات ، هي عبارة عن كنائس كبيرة يقيم بها الأساقفة . وتحتل أهمية خاصة لان كل واحدة منها تتوسط منطقة يطلق عليها اسم ابرشية Diocese ، وكان الاسقف هو من يتولى رئاسة المدرسة والمعهد في بداية الامر لكن مع تعدد مهام الاسقف جعلته يعهد بذلك لأستاذ متخصص للأشراف على التلاميذ (الحلي ، 1985، صفحة 59) .

قدر للمدارس الكاتدرائية البقاء والاستمرار في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي في الوقت الذي اخذ فيه نجم المدارس الاديرية في الافول ، واضمحلال الحركة العلمية فيها. ففي الوقت الذي لم يبقى من المدارس الاديرية سوى قلة محدودة . اخذت المدارس الأسقفية تتزعم النشاط الفكري في كثير من انحاء اوربا الغربية . لاسيما في فرنسا التي غدت مدارسها مثل ريمس (Rims وشارترCharter وليبون Lebon مراكز للعلوم الكلاسيكية، اذ ظهرت في شارتر بالذات نهضة كلاسيكيسة حقيقية . ذلك لاهتمام هذه المدرسة بأعمال القدماء ، وإبراز نشاطهم بصورة واضحة ، واصبح لمدارس فرنسا شهرة رائعة ، بفضل من انجبتهم من علماء الفكر والمعرفة في العلوم والاداب (Leach, 1915, p. 78) .

ولم تصل المدارس الكاتدرائية الى ما وصلت اليه من أهمية في القرن الثاني عشر الميلادي. الا بعد ان تعرضت في القرن التاسع لحركة إصلاحية شاملة اصبح بمقتضاها افراد الكاتدرائية خاضعين تماما لنظام

الجماعة .مما يشبه الحياة الديرية من بعض الوجوه ، وبمرور الوقت حصل أعضاء الكاتدرائية على حق اختيار أساقفتهم وتمسكوا بضرورة منحهم قسطا ثابتا من دخل الكاتدرائية ، وأصبحت فيما بعد بمثابة رواتب لهم . وتم اقامة الكاتدرائيات في المدن بخلاف الاديرة التي لاتقوم الا في الجهات النائية ، فقد اهتموا بوجود الكاتدرائيات في المدينة وعملوا الى زيادة أهميتها، وتأثير نشاطها العلمي . اذ استطاعت الكاتدرايات بمدارسها ومكتباتها والنشاط العلمي لرجالها ان تؤدي دورا ثقافيا مهما يتوسط الدور الذي قامت به المدارس الاديرة من جهة ، وبلاط الامراء والملوك من جهة اخرها (Jaeger, 1924, p. 243) .

اما هدف المدارس الكاتدرائية فقد كانت تهدف في اعداد الكهنة والقديسين والقساوسة. الا ان مستوى تعليم العلوم في تلك المدارس كان منخفضا ومتدنيا لايتجاوز العمليات الحسابية الأساسية وبعض المسلمات والبديهيات التي تتقبلها الفطرة الإنسانية من دون براهين ، بالإضافة الى بعض المعارف الفلكية الشعبية (فؤاد، 2017، صفحة 167) .

اما بالنسبة لمناهج الدراسة في تلك المدارس الأسقفية ، فقد اهتم بعضها بدراسة المجموعة الثلاثية والبعض الاخر اهتم بالمجموعة الرباعية ، فضلا عن ذلك حظيت العلوم بقسط وافر من العناية وفي مقدمتها علوم اللاهوت والفلسفة والقانون ، بل جرت العادة لان يكون لكل رئيس أساقفة كرسيان احدهما للفلسفة ، والأخر للقانون الكنسي ، وكانت الكاتدرائية تنفق أموالها على الطلاب الذين يؤهلون ليصبحوا رجال الدين ، اما الطلاب الاخرين فكانوا يؤدون اجورا قليلة ماعدا الفقراء منهم الذين كانو يعفون من ذلك ، بل ان الكنيسة خصصت رواتب كافية للمعلمين ، الذين تولوا تعليم من يعدون لمهنة الكهانة اما تعليم الفقراء فيكون تعليمهم مجاني وقد انجبت هذه المدارس مجموعة من المفكرين (Hanrahan, 1964, p. 217) .

2- الجامعات :.

في العصور الوسطى ،كان هناك ثلاث مؤسسات أدت دورا أساسيا ومحوريا" في تشكيل هوية المجتمع الغربي هي الكنيسة ، والامبراطورية، والجامعة ، فالروح الدينية في اوربا ، كما هو معروف وجدت زعامتها في البابوية . اما السلطة العلمانية فبلغت ذروة عظمتها في الإمبراطورية الرومانية . في

حين ان روافد المعرفة الأساسية التي رفدت المجتمع الغربي بالعلم في الشطر الأخير من العصور الوسطى كانت من خلال الجامعة . التي غدت مع الوقت درة مؤسساته الاجتماعية والتعليمية . فالجامعة في الغرب بموازاة الكنيسة والامبراطورية ، وكان لها دور فعال في بناء اوربا ما بعد القرون الوسطى . وقد تركت تلك المؤسسة اثرا واضحا وعميقا في اركان الحياة الاوربية في العصور الوسطى والحديثة . وفي مختلف المجالات العلمية خصوصا الدينية والسياسية، والاجتماعية ،وحتى الاقتصادية منها (نسيم، 1981، الصفحات 95-97) .

مما جعل الكنيسة تخشى من فقدان السيطرة على تلك المؤسسات الجديدة ، لذلك عملت من اجل امن الكنيسة بأن تقوم ببساطة بتنظيم وتوجيه الحركة لضمان عدم تعرض مصالحها ، وقوانينها للخطر لذا وضعت الكنيسة نفسها في بعض نظم الجامعة ومناهجها (مفيد، 2003، صفحة 69) .

وعلى سبيل المثال في جامعة بولونيا أصرت الكنيسة على انه يجب ان يكون هناك اسقف عند التقدم للدراسات العليا في القانون ، بينما جامعة باريس كان تدخلها فيها اكثر عمقا . اذ أصبحت نموذجا لسائر الجامعات في شمال غرب ازوربا التي ساد فيها دراسة اللاهوت . كما تدخلت الكنيسة في نظام الهيأة الجامعية بين مهام رئيس الجامعة ورئيس أساقفة المدينة . وذلك من خلال التوحيد بين وظيفتها. بل ان أساتذة الجامعة كانوا لايجرأون على اظهار الحق اذا كان فيه ادنى مخالفة لأفكار واراء الكنيسة . وعلى سبيل المثال فأن الأستاذ(ابيان) الذي ظهر في عصر ((شارل الخامس)) كان أستاذا في جامعة انجلو ستاد . لم يستطيع ان يعلن اراء (كوبر نيكوس) في علم الفلك على الرغم من اعتقاده بصحتها .لان ذلك فيه مخالفة لتعاليم الكنيسة . وهذا يعني محاكمته ومعقابتة . كما تدخلت الكنيسة في جمعات أخرى مثل جامعة تولوز حين رأت ان هذه الجامعة لا تقيم وزنا كبيرا للعقيدة ، والشؤون الدينية ، والروحية. أضطر البابا غريغوريوس التاسع Pope Gregory IX (1145- 1241) الى التدخل . وارغم الكونت ريموند Raymond سنة 1229 على ان يتعهد بأداء مرتبات أربعة عشر أستاذا في علوم الدين المسيحي والقانون الكنسي بصفة خاصة . يرسلون من باريس الى جامعة تولوز لمقاومة ماتفشى في هذه الجامعة من استهانة بالدين ، وظهور مبادئ الالحاد فيها بين الطلاب ، ولاسيما وقد كانت باريس حصنا منيعا للدين القويم (عبدالفتاح، 1959، صفحة 179) .

كما لم يكن للجامعات مبان خاصة بها حيث كانت" **كل كلية من الكليات وكل رواق من الاروقة التابعة للجامعة تستأذن كنيسة او ديرا معينا" لتعقد اجتماعاتها فيه**" وهذا يعني خضوع الجامعات للكنيسة من الناحية المادية ، التي يترتب عليها خضوعها من الناحية التعليمية . وهكذا يتضح كيف ان الجامعات كانت خاضعة لسلطة الكنيسة، وافكارها . وكيف ان اساتذتها قد تعرضوا لكبت عقلي ، وإرهاب فكري ، جعلهما لايتجرأون على اظهار الحقيقة العلمية خشية تعرضهم للعقاب من قبل الكنيسة (الله، 1982 ، صفحة 130) .

تعليم المراة :

بالنسبة لتعليم النساء فقد كان في غاية الانحطاط في بداية العصور الوسطى ، اذ ان مكانة المراة في المجتمع الغربي ثانوية. فقد اعتبرت النساء العصور الوسطى الأولى شيئا تقليديا واقل تعليما من نظرائهم من الرجال . لذلك تشير الدراسات الحديثة الى ان النساء لم يكن جزءا من الثقافة الأدبية في ذلك الوقت ، فقد كان التعليم لكل من النساء والرجال يميل الى ان يقتصر على الطبقات العليا. وبخاصة في بلاط الملوك ، اذ لم يكن لهن مدارس خاصة الا ماندر. وكانت بعض الاديرة تعلم النساء تلاوة الصلاة وبعض الأمور الدينية فقط (العظيم، تعليم المرأة الاوربية ودورها الثقافي في العصور الوسطى، 2024، صفحة 709).

وفي ذلك الخصوص يقول بطرس البستناني (**ولم يكن أي للنساء الا مدارس قليلة في المدن الكبيرة لتعليم القراءة ولم تكن للراهبات يتعلمن الا تلاوة صلاتهن وتعاطي صناعة التطريز وغيرها من اعمال الاديرة**) (بطرس، 1883، صفحة 162) . إلا أنه مع مرور الوقت أتيحت لبعضهن ا فرص للتعليم، خاصة في الأديرة حيث تعلمن القراءة ، والكتابة والمهارات الدينية . وبرزت بعض النساء ككاتبات وشاعرات، مثل (هيلدغارد من بينغن ،وكريستين دي بيزان،والاميرة الكارولنجية دودا، والراهبة روسفيتا (العظيم، تعليم المرأة الاوربية ودورها الثقافي في العصور الوسطى، 2024، صفحة 709) .

ويمكن القول ان حظ النساء في التعليم كان ضئيلا. ماعدا نوع من التعليم المبسط من التعليم الكنسي الذي كانت المرأة تتلقاه في بعض الاديرة .

الخاتمة :

ادت الكنيسة دورا كبيرا في التأثير وسيطرة على التربية والتعليم خلال فترة العصور الوسطى الاوربية ،اذ كرست مناهج واهداف التربية وتعليم لتمجيد الاله وتعزيز سلطة الكنيسة ، اي ان التربية والتعليم في اوربا العصور الوسطى كان بيد الكنيسة وتحت هيمنتها ، الا ان هذا التعليم لم يستطع ان يحقق للانسانية سعادتها المنشودة ولا للعلم حريته وانطلاقة ، بل وقف حجر عثرة في سبيل اي تقدم ، وسجن العقل البشري واعاق ابداعه ، وقاوم البحث العلمي التجريبي واضطهدة علماءه ، وساند حكم الطغاة والجبابرة والمفسدين في الارض واستغل الناس واستخف بعقولهم ، واصدارصكوك الغفران ، وكان مكرس لخدمة الكنيسة وتحقيق اهدافها ،وبأيجاز شديد فشل هذا التعليم الكنسي في تخريج الانسان المثقف الذي يفهم حقيقة دوره في الحياة ، وانتقلت مسؤولية التعليم من الكنيسة للحاكم . ومع هذا لانستطيع ان ننكر دور الكنيسة الكبير في الحفاظ على الثقافة . بالرغم من التحديات والتحولات الكبيرة التي حدثت بعد سقوط الامبراطورية الرومانية .

مراجع

عاشور ،سعيد عبد الفتاح. (2006). حضارة اوروبا العصور الوسطى . موسوعة الثقافة التاريخية والاثرية والحضارية .

Hanrahan, j. (1964). The Institutional Development of Twelfth-Century Educatio,.

Jaeger, C. (1924). The Envy of Angels Catheedral Schools and Social Ideals in Medieval Europe 950-1200. Philadelphia.

Leach. (1915). A.E,Schools of medieval. England.

احمد ، سعد مرسي. (1982). تطور الفكر التربوي . القاهرة.

احمد حقي واخرون الحلي . (1985). مبادئ التربية. بغداد.

البستاني ، بطرس. (1883). دائرة المعارف (الإصدار ج5). بيروت.

الزيدي ، مفيد. (2003). موسوعة تاريخ اوربا عصر النهضة (1500_1789) (الإصدار ج2).

الشافعي ،ابراهيم محمد. (1978). المرجع في علوم التربية . ألقاهرة .

الشوخي ، عبد الله. (1982). موقف الاسلام والكنيسة من العلم . الاردن .

باشا ، احمد فؤاد. (2017). رؤى إسلامية في الفلسفة العلم والتنمية الحضارية . مصر .

برنتن ، كرين. (2017). ، افكار ورجال قصة الفكر الغربي. (محمود محمود، المترجمون) لمملكة المتحدة.

خطاب ، شرف الدين محمود. (1933). التربية في العصور الوسطى.

سمعان ، وهيب ابراهيم. (1961). الثقافة والتربية في العصور الوسطى. د . م.

صفر ، هنادي عبد العظيم. (2014). اصلاحات شارلمان الداخلية في الدولة الكارولنجية (768م–814) . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة البصرة .

صفر ، هنادي عبد العظيم. (2024). تعليم المرأة الاوربية ودورها الثقافي في العصور الوسطى.

عاشور ، سعيد عبدالفتاح. (1959). اوروبا في العصور الوسطى ، النظم والحضارة (الإصدار ج2). بيروت.

عاقل ، فاخر. (1974). التربية قديمها وحديثها. بيروت.

عبد القادر مصطفى زيادة. (2006). الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره . الرياض.

عبوش، احمد صالح. (1971). روح التاريخ . لبنان.

عطية عماد. (2004). تطور الفكر التربوي عبر القرون. الرياض.

مترو ، بول. (2021). المرجع في تاريخ التربية. (رجمة ، صالح عبد العزيز، المترجمون) مصر.

محمد ماهر محمود جمال . (2006). نحو ثقافات داعمه للاصلاح التعليمي ثقافات الفصل والمدرسة. مصر.

محمد الشيخ. (1998). لنظم والحضارة الاوربية في العصور الوسطى. مصر.

محمد زيان. (2009). الفضائل الفلسفية والتربوية في فلسفة جان جاك روسو ،. رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة وهران.

مكاوي ، فتحي حسن. (2020). الفكر التربوي الاسلامي المعاصر مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل اصلاحه. الاردن.

هادي ، ورود هاتو. (2023). التعليم في اوربا خلال العصور الوسطى 1100–1400م، . اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ،.

يوسف ، جوزيف نسيم. (1981). نشأة الجامعات في العصور الوسطى . بيروت .